

نيويورك تايمز: حرب غزة عززت الرئيس المصري قبل التصويت الرئاسي



اهتمت صحيفة نيويورك تايمز في تقرير لمراسلته فيفيان بي بتراجع شعبية السيسي في خضم الأزمة الاقتصادية واستفادته في الوقت نفسه من الحرب في غزة.

تلقت الصحيفة الأمريكية في مستهل بالإشارة إلى أن الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي لم يكن يحظى حتى صباح 7 أكتوبر بشعبية كبيرة لشخص مرشح لولاية ثالثة في منصبه - وهو ما ضمنته قبضته الاستبدادية على البلاد للسيطرة على الانتخابات التي تبدأ اليوم الأحد، لكنها تضررت بشدة بسبب الانهيار الاقتصادي البطيء.

لقد طغت الأسابيع التي تلت ذلك على كل ذلك، إذ حلت الحرب محل المخاوف المالية باعتبارها الموضوع الأهم في أذهان الكثير من المصريين. وفيما يخص الشركاء الغربيين وداعميه الخليجين، سلطت الأزمة الضوء أيضاً على دور مصر الحيوي بوصفها قناة للمساعدات الإنسانية لغزة ووسيطاً بين إسرائيل وحماس.

فرصة أخرى

وبحسب الصحيفة، يبدو أن السيسي، وهو جنرال سابق يتمتع بموهبة التعامل مع النكسات المستمرة، قد حصل على فرصة أخرى، سمحت له بوضع نفسه باعتباره بطلاً للقضية الفلسطينية في الداخل وزعيماً إقليمياً لا غنى عنه في الخارج.

وفي القاهرة هذه الأيام، أدت المقاطعة واسعة النطاق للشركات الغربية المرتبطة بدعم إسرائيل إلى تحويل الفعل البسيط المتمثل في تقديم بيبيسي إلى زلة خطيرة. وفتح المصريون الذين يكافحون من أجل تغطية نفقاتهم الأساسية بعد ما يقرب من عامين من التضخم القياسي محافظهم لمساعدة ضحايا حرب غزة.

وفي بلد حُظرت فيه الاحتجاجات لسنوات، تحدى مئات الأشخاص الاعتقال وخرجوا في مسيرة تضامن مع الفلسطينيين.

دعم شعبي للفلسطينيين

وتتوقع الصحيفة أن تؤكد الانتخابات الرئاسية التي تستمر ثلاثة أيام والتي تبدأ يوم الأحد، بقاء السيسي في السلطة لفترة ولاية أخرى مدتها ست سنوات: لا يملك أي من منافسيه الثلاثة فرصة لإطاحته.

ومع ذلك، قال محللون ودبلوماسيون إن الرئيس سيحتاج إلى القيادة بعناية. ولا تزال الأزمة الاقتصادية التي ثقت هالة الحصانة التي يتمتع بها السيسي، تستنزف الأسر والشركات والمالية في البلاد. وبوجود الحرب في غزة أو بدونها، من المتوقع أن تخفض مصر قيمة عملتها بعد الانتخابات، الأمر الذي يشي بمزيد من الألم لشعبها.

ومع ارتفاع الدعم الشعبي للفلسطينيين، فإن المصريين حساسون لأي إشارة تشير إلى أن حكومتهم قد تكون متواطئة في المعاناة في غزة، سواء من خلال الموافقة على القيود الإسرائيلية على المساعدات المتدفقة من مصر إلى القطاع أو مقترحات لنقل سكان غزة إلى مصر مقابل المساعدات - وهي فكرة مرفوضة على نطاق واسع في جميع أنحاء العالم العربي.

وقال هشام سلام، الباحث في السياسة العربية في مركز ستانفورد للديمقراطية والتنمية وسيادة القانون: «الحكومة بالتأكيد لا تريد اختبار صبر الشعب المصري، ليس عندما يتعلق الأمر بفلسطين».

مثل كثيرين في القاهرة هذه الأيام، قالت آية خليل، 34 عاماً، وهي مدرسة فنون خاصة، إنها لم تعد تشتري أي شيء قبل التحقق من مصدره من خلال قوائم الإنترنت للعلامات التجارية الغربية المدرجة في القائمة السوداء لدعمها لإسرائيل.

وقالت إن «مقاطعتي لهذه العلامات التجارية هي مجرد قطرة في محيط، لكنني أفعل الشيء الوحيد الذي يمكنني فعله». ومثل عديد من المصريين الآخرين، تساءلت عما إذا كانت الحكومة تفعل ما يكفي لضخ المساعدات إلى غزة.

وتلقي مصر باللوم على إسرائيل في الحد من المساعدات، لكن الدعوات لإنهاء الحصار الإسرائيلي المصري المشترك المستمر منذ 16 عاماً على غزة، ولوقف مصر عن منح إسرائيل أي حق في السيطرة على المعبر الحدودي المصري مع غزة، تزايدت في الأسابيع الأخيرة.

ومع ذلك، لا تملك مصر ترف تنفير إسرائيل، التي أقامت معها شراكة أمنية قوية، وإن كانت سرية، في شبه جزيرة سيناء، أو إثارة الداعمين الغربيين، وخاصة عندما تحتاج إلى كل الدعم المالي الذي يمكنها الحصول عليه.

يشعر عديد من المصريين باليأس من الوضع الاقتصادي السيئ، ويقترون شهراً بعد شهر فقط لتأمين ثمن الأساسيات. وقد تضاعفت أسعار السكر مؤخراً في بعض الأماكن، ومن المتوقع أن يتفاقم التضخم، الذي يتجاوز 35 في المائة سنوياً، إذا خفضت الحكومة قيمة العملة.

قبل هجوم حماس على إسرائيل، كانت العلامات على تزايد تراجع شعبية السيسي واضحة للغاية.

وكان المنافس الناشئ، أحمد الطنطاوي، يجذب الدعم في جميع أنحاء مصر من خلال انتقادات للرئيس لم يجرؤ سوى عدد قليل من الآخرين في مصر على التعبير عنها منذ أن بدأ في تضيق الخناق على المعارضة في السنوات الأخيرة.

وتحدث النشطاء والليبراليون بترقب عن سقوط السيسي في نهاية المطاف. ومع استشعارهم للقوة من خلال تنامي أعداد المستائين، لم يعد عديد من المصريين يكلفون أنفسهم عناء خفض أصواتهم قبل مهاجمة رئيسهم.

وفي الخارج، نفذ صبر صندوق النقد الدولي والممولين الخليجيين في انتظار أن تفي مصر بوعودها بالإصلاح الاقتصادي، ولا يستطيع أحد تحديد كيفية تجنب البلاد التخلف عن سداد ديونها الخارجية البالغة 165 مليار دولار.

وكانت واشنطن في حالة انزعاج بسبب اتهامات بأن مصر قامت برشوة عضو كبير في مجلس الشيوخ الأمريكي مقابل خدمات رسمية ومعلومات حساسة، مما دفع الكونغرس إلى منع مساعدات عسكرية إضافية لحكومة السيسي بقيمة 235 مليون دولار.

استفادة السيسي من الحرب

ومع ذلك، في غضون أيام من الهجوم الإسرائيلي على غزة رداً على هجمات 7 أكتوبر، بدأ ترنح السيسي قد بدأ يستقر.

وقال صلاح علي، وهو مهندس من مدينة أسوان الجنوبية يعمل في بناء ما يفترض أن يكون مشروع إرث الرئيس، عاصمة جديدة مكلفة ساعدت في تضخم ديون مصر: «مع كل حرب تندلع، تكون هناك فرصة جيدة للسيسي لجعلها ذريعة للأزمة الاقتصادية».

«ماذا تقصد بـ "الانتخابات"؟» وأضاف بسخرية، مردداً اعتقاداً واسع النطاق بأن النتيجة محددة سلفاً، على الرغم من تأكيدات المتحدث باسم الحكومة، ضياء رشوان، بأن الانتخابات تُظهر أن مصر على «طريق جاد نحو تعددية سياسية حقيقية».

ولفتت الصحيفة إلى ما تعرضت له حملة أحمد طنطاوي من تضيق أدى إلى حرمانه من الترشح وعدم معرفة كثير من المصريين بالمرشحين الثلاثة الآخرين والذين امتنعوا عن انتقاد السيسي، ربما خوفاً من مصير المرشحين السابقين في عام 2018.

ويقول محللون إن مصر تماطل في تلبية شروط صندوق النقد الدولي لحزمة إنقاذ قيمتها 3 مليارات دولار والتي اتفق عليها العام الماضي. لكن مديرة الصندوق، كريستالينا جورجييفا، قالت إن صندوق النقد من المحتمل جداً تعزيز مبلغ القرض على أي حال في ضوء الحرب.

وعلى نحو مماثل، يعمل الاتحاد الأوروبي، خوفاً من أزمة هجرة أخرى، على تسريع وتيرة التمويل لمصر بنحو 10 مليارات دولار.

ونوّهت الصحيفة إلى تكرار السيسي رفضه إجبار سكان غزة على النزوح إلى سيناء المصرية.

لكن محللين ودبلوماسيين يقولون إن السيسي كان يستغل بشكل استراتيجي غضب المصريين وحنينهم تجاه الحرب وما يحدث لسكان غزة.

وسمحت الحكومة بخروج مظاهرات دعماً للفلسطينيين والتي حظيت بتغطية واسعة من وسائل الإعلام الحكومية. لكن اعتقلت السلطات عشرات الأشخاص في مسيرات منفصلة في اليوم نفسه والذي هتف فيها المتظاهرون بشعارات مناهضة للسيسي، مما يوضح أن محاولات الحكومة لتوجيه المشاعر المؤيدة للفلسطينيين تخاطر بإثارة السخط الداخلي.

وقال عمر، وهو موظف حكومي في العريش بالقرب من حدود غزة والذي اكتفى بذكر اسمه الأول خوفاً من الانتقام: «أنا فقط أنتظر منه أن يستقيل أو يرحل».

وقال: حتى ذلك الحين، «سنستمر في عيش هذا الواقع الرهيب».